

# العزم

## عناصر الموضوع

٢٨٢	مفهوم العزم
٢٨٣	العزم في الاستعمال القرآني
٢٨٤	الألفاظ ذات الصلة
٢٨٦	مجالات العزم
٢٩٣	أخلاق أولي العزم
٣٠٢	عوامل قوة العزم
٣٢٣	آثار العزم على الفرد والأمة

## مفهوم العزم

## أولاً: المعنى اللغوي:

عزم الأمر وعزم عليه يَعْزِمُ عَزْمًا وَمَعْزَمًا وَمَعْزَمًا وَعَزْمًا وَعَزِيمًا وَعَزِيمَةً وَعَزْمَةً وَعَزْمَانًا، واعتزمه واعتزم عليه: أراد فعله وعقد قلبه عليه؛ فالعزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله. ويقال: ما لفلان عزيمة؛ أي: ما يثبت على أمر يعزم عليه؛ كأنه لا يمكن أن يصرم الأمر، بل يتردد فيه ويختلط. وعزم عليه ليفعلن؛ أي: أقسم عليه، وأمره أمرًا جدًّا، لا استثناء فيه. والرجل يعتزم الطريق: يمضي فيه ولا يثنى. ويقال: إنه لذو أمر عظيم: أي مجمع ومحكم ومؤكّد. ورجل ماضي العزم مجدّي أموره. والعزم: الصبر في لغة هذيل. يقولون: مالي عنك عزم؛ أي: صبر. والعزيمة: الصريمة، وهي الحاجة التي قد عزمت على فعلها. والعزيمة: الإرادة المؤكدة. والجمع عزائم<sup>(١)</sup>.

## ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

عرف العزم اصطلاحًا بتعريفات مقاربة وافية، فقال الراغب: «العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر»<sup>(٢)</sup>، وقال الجرجاني: «والعزم: جزم الإرادة بغير تردد»<sup>(٣)</sup>. وقال القرافي: «وأما العزم فهو الإرادة الكائنة على وفق الداعية. والداعية ميل يحصل في النفس لما شعرت به من اشتغال المراد على مصلحة خالصة أو راجحة، أو درء مفسدة خالصة أو راجحة»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن القيم: «والعزم: هو القصد الجازم المتصل بالفعل وحقيقته: استجماع قوى الإرادة على الفعل»<sup>(٥)</sup>.

ولم يخرج التعريف الاصطلاحي للعزم عن معناه اللغوي، والجزء الحاضر في تلك التعريفات جميعها أن العزم عمل قلبي، فهو من باب الإرادات، وليس هو الرغبة المنبئة عن الفعل، وليس هو الهم الطارئ الذي ينصرف عنه صاحبه بذهول أو فترة.

(١) انظر: العين، الفراهيدي ١/٣٦٣-٣٦٤، جمهرة اللغة، ابن دريد ٢/٨١٧، تهذيب اللغة، الأزهرى ٢/١٥٢، الصحاح، الجوهري ٥/١٩٨٥، مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/٣٠٨-٣٠٩، لسان العرب، ابن منظور ٦/٢٣٦-٢٣٧.

(٢) المفردات ٢/٤٣٤.

(٣) التعريفات ص ١٦.

(٤) الأمنية في إدراك النية ص ١١٧-١١٨.

(٥) مدارج السالكين ١/١٥٢.

## العزم في الاستعمال القرآني

وردت مادة (عزم) في القرآن الكريم (٩) مرات<sup>(١)</sup>.  
والصيغ التي وردت عليها هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٣	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]
الفعل المضارع	١	﴿وَلَا تَعَزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]
المصدر	٥	﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]

وجاء العزم في القرآن الكريم بمعناه اللغوي: عقد القلب على قطع الأمر وفعله، ويلزم منه الحزم والصبر لحين تحقيقه وإمضائه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] يعني: الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم، وصبروا على كل ما لحقهم من إيذاء؛ في سبيل تحقيق ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٤٦١، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب العين ص ٧٦٤.  
(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٣٤٠-٣٤١، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ٦٤-٦٣/٤.

## الألفاظ ذات الصلة

## ١ الإرادة:

الإرادة لغةً:

المشيئة والقصد، أراد الشيء: شاءه<sup>(١)</sup>.

الإرادة اصطلاحًا:

ميل يعقب اعتقاد النفع<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين الإرادة والعزم:

أن العزم مقترنٌ بالعمل، وأما الإرادة فقد تسبقه، والعزم إرادةٌ يقطع بها المرید تردده في الإقدام على الفعل أو الإحجام عنه، ويصح أن يسمى مبدأ إرادة الفعل والرغبة فيه قبل هذا القطع إرادةً ولا يسمى عزمًا، فالإرادة من هذه الجهة سابقة على العزم، وكل عزم إرادةٌ، وليس كل إرادة عزمًا<sup>(٣)</sup>.

## ٢ الهم:

الهم لغةً:

ما هممت به في نفسك؛ تقول: أهمني هذا الأمر، وهم بالشيء يهملهم: أرادوه ونواه وعزم عليه. والهمة: ما هممت به من أمرٍ لتفعله<sup>(٤)</sup>.

الهم اصطلاحًا:

أول العزيمة وعقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر<sup>(٥)</sup>.

الصلة بين الهم والعزم:

أن الهم في الأصل حديث النفس بالفعل، ومبدأ الإرادة، فإذا استحكمت تلك الإرادة صارت عزمًا، وتصميمًا على تحقيق ذلك الهم، فالعزم نهاية الهم<sup>(٦)</sup>.

- (١) انظر: العين، الفراهيدي ٨/٦٤، تهذيب اللغة، الأزهرى ١٤/١٦٣، الصحاح، الجوهري ٢/٤٧٨، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٩/٤٢١، لسان العرب، ابن منظور ٤/٢٩٥-٢٩٧.
- (٢) التعريفات، الجرجاني ص ١٦.
- (٣) انظر: الفروق اللغوية ص ١٢٤.
- (٤) انظر: العين، الفراهيدي ٣/٣٥٧، تهذيب اللغة، الأزهرى ٥/٣٨١، الصحاح، الجوهري ٥/٢٠٦١، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٤/١١٠-١١١، لسان العرب، ابن منظور ٩/١٣٨-١٤٠.
- (٥) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٢٥٧، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٣٤٤.
- (٦) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢/١٠٧.

العزم لغةً:

جمع الشيء وشده بحزامٍ أو حبلٍ أو نحوه، والعزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة<sup>(١)</sup>.

العزم اصطلاحًا:

هو ضبط الرجل أمره، والحذر من فواته<sup>(٢)</sup>، أو هو أخذ الأمور بالضبط والإتقان<sup>(٣)</sup>.

الصلة بين العزم والعزم:

العزم: جودة النظر في الأمر وتنقيحه والحذر من الخطأ فيه، والعزم: قصد الإمضاء<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: العين، الفراهيدي ٣/١٦٦، تهذيب اللغة، الأزهري ٤/٣٧٦، الصحاح، الجوهري ٥/١٨٩٨، مقاييس اللغة، ابن فارس ٢/٥٣، المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٣/٢٣٢، لسان العرب، ابن منظور ٢/٤٢٨.

(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري ١/٢٧٨، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١/٣٧٩.

(٣) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٨٦، التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٣٩.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ١/٥٥١، البحر المحيط ٨/٤١٦.

مجالات العزم

ما من امرئ ذي عقلٍ إلا وهو يهتم لأمرٍ ما؛ ولذا فإن أصدق الأسماء همam وحرث، كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

وإنما يتفاوت قدر الناس على قدر همهم، ومجالاتها.

وقد تطرق القرآن الكريم إلى شيء من مجالات العزم، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

أولاً: العزم في طلب العلم وتحمله ونشره:

طلب العلم وتحمله ونشره مجالاً لظهور أثر تفاوت العزم والهمة، فما بين رجلٍ رزق عقلاً وهمةً فجد في الطلب، وارتقى في الرتب؛ حتى صار يعد من العلماء العاملين والأئمة المتبوعين، وبين من تقاعس عن الجد، ولزم الدعة، وانحطت همته؛ فكان في عداد الهمل الهمج الرعاع أتباع كل ناعق.

وقد أمر الله عز وجل اليهود بأن يأخذوا ما آتاهم من الشرع بقوة، فقال: ﴿حَدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا﴾ [البقرة: ٩٣].

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿حَدُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ يعني: التوراة والشرع، ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بعزم ونشاط وجد، ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ معناه هنا: وأطيعوا، وليس معناه الأمر بإدراك القول فقط»<sup>(٢)</sup>.

وقال البيضاوي: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجِد وعزيمة<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُم بِأَخْذِهَا بِحَسَنَةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

أي: بجِد واجتهاد وبقوة قلب وصحة عزيمة؛ لأنه لو أخذه بضعف نية لأداه إلى فتور العمل به<sup>(٤)</sup>.

وأمر الله تعالى يحيى عليه السلام: ﴿يَبْتَغِيْ حَيْثُ الْكُتِبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] أي: بجِد وعزم واجتهاد ومواظبة<sup>(٥)</sup>.

(١) روى أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم ٤٩٥٠، عن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه، وكانت له صحبة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حرث وهمام، وأقبحها حرب ومرة». وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٠٤، ورقم ١٠٤٠.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ١/ ١٨٠.  
(٣) أنوار التنزيل ١/ ٨٥.  
(٤) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٢٦٠، التفسير البسيط، الواحدي ٩/ ٣٤٧، معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٢٣٣.  
(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٤٧٣-٤٧٤، الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب ٧/ ٤٥٠٢.

ثانياً: العزم في العبادات:

وصف الله عز وجل المؤمنين أولي العزم بأنهم ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

فلما صح عزمهم في القيام بتلك الأمور استحقوا وصف الرجولة الذي يوحي بتحمل المسؤولية وعلو الهمة. فإذا كان الحرص على الوفاء بها بإزاء عاجل ثمرة التجارة، وتحصيل الربح، وكانت همم البشر في جملتها معقودة على حب خضرة الدنيا؛ كان القائم بها من أهل العزم الخالص.

قال ابن كثير: «فقوله: ﴿رِجَالٌ﴾ فيه إشعار بهمهم السامية، ونياتهم وعزائمهم العالية، التي بها صاروا عمارةً للمساجد، التي هي بيوت الله في أرضه، ومواطن عبادته وشكره، وتوحيده وتنزيهه، كما قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان في السوق وأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويروى نحو ذلك عن سالم بن عبد الله:

أنه نظر إلى قوم من السوق قاموا وتركوا بيعاتهم إلى الصلاة، فقال: «هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾. ويروى عن ابن مسعود، نحو ذلك أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وفيه ترك الربح القريب رغبةً في الفوز بنعيم الآخرة، وهذا مقام لا يقومه إلا أولو العزم من البشر.

وفي وصية لقمان لابنه ﴿يَبْنَئِ أَعْيُنَ الصَّالِحِينَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

فيحتمل أن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى كلها داخلة في المراد بعزم الأمور<sup>(٤)</sup>. والحج عبادة لا يتم مقصودها إلا صاحب عزيمة؛ قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي: اتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توائن ولا نقصان يقع منكم فيهما<sup>(٥)</sup>. وهو مقامٌ للعطاء المالي والبدني فضلاً عن مفارقة الأهل، ومكابدة السفر ومشاقه.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/٣٢١-

٣٢٢، تفسير ابن أبي حاتم ٨/٢٦٠٨.

(٤) انظر: لباب التأويل، الخازن ٣/٣٩٩، البحر

المحيط، أبو حيان ٨/٤١٥-٤١٦.

(٥) الكشاف، الزمخشري ١/٢٣٨.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٦٧.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/٤٤٢.

ولا يخلو الحاج من دواعي الرغبة، وبواعث الغضب، والاستفزاز إلى الجدل والمراء؛ ولذا نهاه الله عز وجل عن ذلك، مؤكداً على فضيلة التقوى، فقال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ رَضَ فِيهِمْ لِمَجِّ فَلَا رَفَثَ وَلَا سُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَلْعَنَهُ اللَّهُ وَتَكَرَّرُوا فِيكَ حَيْرَ الزَّادِ الْقَفْوَى وَأَقْفُونِ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والأمر بالتزود إشارةً إلى ضرورة استصحابها من أول عقد عزمه على الحج، فيتزود بالتقوى كما يتزود بالطعام؛ مخلصاً نيته من كل شائبة، ومجرداً قصده من كل داخلية. والحج المبرور أفضل الجهاد فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: (يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: (لا، لكن أفضل الجهاد: حجٌّ مبرورٌ) (١).

وقال الغزالي: «وأما العزم؛ فليعلم أنه بعزمه قاصداً إلى مفارقة الأهل والوطن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم ١٥٢٠. قال ابن حجر في فتح الباري ٣/٣٨٢: «اختلف في ضبط لكن فالأكثر بضم الكاف خطاب للنسوة قال القاسبي وهو الذي تميل إليه نفسي، وفي رواية الحموي لكن بكسر الكاف وزيادة ألف قبلها، بلفظ الاستدراك، والأول أكثر فائدة، لأنه يشتمل على إثبات فضل الحج وعلى جواب سؤالها عن الجهاد وسماه جهادا لما فيه من مجاهدة النفس».

ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله عز وجل؛ وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، وليعلم أنه عزمٌ على أمرٍ رفيع شأنه خطير أمره، وأن من طلب عظيماً خاطر بعظيم. وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله عز وجل بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة، وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص، وإن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره، فليصحح مع نفسه العزم. وتصحيحه بإخلاصه، وإخلاصه باجتناّب كل ما فيه رياءٌ وسمعة، فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير» (٢).

### ثالثاً: العزم في الجهاد:

الجهاد في سبيل الله عز وجل من أعظم مهمات الدين، وهو أبرز مجالات العزم وأوضحها، ذلك أن الجهاد مخاطرةٌ بالنفس والنفيس، فلا تجد أحداً أصدق همةً ولا أتم عزيمةً ممن ووطن نفسه على بذل النفس والنفيس لإعلاء كلمة الحق. ومنزلة الجهاد من الإسلام سامقة، وشأنه عظيمٌ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: (لا أجده) قال: (هل تستطيع إذا خرج المجاهد

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٢٦٧.

الثناء؛ لأن الرَّجُلَ مشتق من الرَّجُلِ، وهي قوة اعتماد الإنسان<sup>(٤)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: (يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع) فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: (اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني: أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني: المشركين-)، ثم تقدم) فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه، فقال: (يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد) قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بيناته قال أنس: (كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن مَّقَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١/٣٠٧.  
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله عز وجل: (من المؤمنين رجال صدقوا)، رقم ٢٨٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم ١٩٠٣.

أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟)، قال: ومن يستطيع ذلك؟!<sup>(١)</sup>

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)<sup>(٢)</sup>.  
وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)<sup>(٣)</sup>.

فهذه الأحاديث، وعشرات الأحاديث غيرها توقفتنا على شرف الجهاد، ورتبة المجاهدين.

وقد كرم الله عز وجل رجالاً بصدق عزائمهم، وعلو همتهم، فقال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

### والإخبار عنهم بأنهم رجالٌ زيادة في

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد، رقم ٢٧٨٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، رقم ١٨٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، رقم ٢٧٨٦، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط، رقم ١٨٨٨.

(٣) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢٢٠١٦.  
وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٢٨٦٦.

بالمعروف الناهي عن المنكر دائريين ثلاثة أحوال:

﴿الحال الأولى﴾: أن يستجاب له، فيكون عليه أن يشكر الله الذي فتح له القلوب ووضع له القبول، وإنما يكون الشكر بمزيد من الاجتهاد في الطاعة والقيام بحق الله، والصبر عن المعصية التي تحرم التوفيق.

الحال الثانية: أن يعرض الناس عنه، فينبغي عليه ألا ييأس من هدايتهم، وأن يتلطف في نصيحتهم، وأن يتحرى أوقات إقبال قلوبهم، وأن يتخولهم مرة بعد مرة، وفرصة بعد فرصة.

الحال الثالثة: أن يضموا إلى إعراضهم عنه أذيته بالقول والفعل؛ فينبغي عليه أن يصبر على أذاهم. ففي الأحوال الثلاثة كان الواجب في حقه أنواعاً من الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، والصبر على الأذى؛ فكانت الوصية الثالثة: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾.

#### خامساً: العزم في العلاقات الأسرية:

من أهم مجالات العزم في العلاقات الأسرية: النكاح والطلاق، وما يتعلق بهما من سلوكٍ يترتب على التزام حكم الشرع فيه، وتعظيم حرمان الله، وحفظ الأعراض، وصيانة جناب العفاف، ويترتب على التجاوز فيه انتهاك المحارم، وإيذاء

وفيه الأخذ بالشدة واستهلاك الإنسان نفسه في طاعة الله. وفيه الوفاء بالعهد لله بإهلاك النفس، ولا يعارض قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ لأن هؤلاء عاهدوا الله فوفوا بما عاهدوه من العناء في المشركين وأخذوا في الشدة بأن باعوا نفوسهم من الله بالجنة<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: العزم في الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢] فقله: ﴿قُمْ﴾ أي: من مضجعتك أو: قم قيام عزم وتصميم، فأنذر<sup>(٢)</sup>.

والدعوة جهاد بالكلمة، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِيْ أَعْمِرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ولعل من حكمة الترتيب في هذه الوصية أنه ابتدئه بالحث على ما فيه صلاح نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل، ألا وهو الصلاة، فإذا أقام الصلاة كما أمر بها نهته صلته عن الفحشاء والمنكر، فكان كاملاً في نفسه مهياً لتكميل غيره، فانقل به إلى الوصية التالية ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ والأمر

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥/ ٢٣.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٩/ ٥٤.

بوازع التقوى، وزم شيطان غضبه بلجام الحلم والأناة.

ويظهر هذا العزم في العلاقات الأسرية في أمر آخر وهو الطلاق، فكما يتأثر النكاح وتوابعه بالميل الفطري والشهوة الغريزية، فكذا الطلاق وتوابعه قد يتأثر بالبغض والرغبة في المفارقة بأقل خسارة يتجشمها، وبأكثر ما يستطيع تحميل الطرف الآخر منها، فبعض الأزواج لا يمسك بمعروف ولا يسرح بإحسان، وقد صمم على فراق زوجته، وإنما يفعل ذلك رجاء أن يضطرها أن تترك له حقها أو شيئاً منه، أو نكايَةً فيها وتحكمًا بغير وجه حق. فأغلق الشرع عليه إلا باب المعروف، وإن لم يمثل كان ظالمًا لنفسه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَنْزِلْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتِمَّنَّوْا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى في الإيلاء: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ رِبْصَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ قَامُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧].

قال البقاعي: «ولما كان الحال في مدة الإيلاء شبيهاً بحال الطلاق وليس به قال مبيناً أن الطلاق لا يقع بمجرد مضي الأربعة الأشهر، بل إما أن يفى أو يطلق، فإن أبي

المشاعر، وهتك الأعراض.

والعلاقة بين الرجل والمرأة قد تحكم بنوع من الميل الفطري والشهوة الغريزية؛ كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ﴾ [النساء: ١٢٦].

أي: لن تقدرُوا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب، ولو حرصتم على العدل، فلا تميلوا إلى التي تحبونها كل الميل في القسم والنفقة، ولا تتبعوا أهواءكم أفعالكم فتدعوا الأخرى كالمعلقة، لا أيما ولا ذات بعل<sup>(١)</sup>.

والميل بالتفضيل في الحقوق الشرعية بينهن لا يجوز، أما الميل الطبيعي بمحبة بعضهن أكثر من بعض فهو غير مستطاع دفعه للبشر؛ لأنه انفعال وتأثر نفساني لا فعل<sup>(٢)</sup>.

وربما كان هذا الميل الطبيعي مذلاً سبيل الجور في الحقوق الشرعية، وهذا لا يدفع إلا بعزم وتصميم على العدل، ولو بشيء من ترك المباح مخافة الولوج في المحظور، ولو بشيء من هضم حظ النفس من نيل مرادها من محبوبها. وبالجملة فهو مقام عزم لا يثبت فيه إلا من كبح شهوة قلبه

(١) معالم التنزيل، البغوي ١/٧٠٩.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي ٣/٢٢.

طلق عليه الحاكم. ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ فأوقع عليه العزم من غير حرف جر، بمعنى أنهم تركوا ما كانوا فيه من الذبذبة وجعلوا الطلاق عزيمة واقعا، ولما كان المطلق ربما ندم فحمله العشق على إنكار الطلاق رهبه بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ أي: الملك الذي له الجلال والإكرام ﴿سَمِيعٌ﴾ أي: لعبارتهم عنه ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: به وينتبهم فيه.

قال الحرالي: وفيه تهديد بما يقع في الأنفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الأزواج في أمور لا تأخذها الأحكام ولا يمكن أن يصل إلى علمها الحكام فجعلهم أمناء على أنفسهم فيما بطن وظهر<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: «وعزم الطلاق: التصميم عليه، واستقرار الرأي فيه بعد التأمل، وهو شيء لا يحصل لكل مؤل من تلقاء نفسه، وخاصة إذا كان غالب القصد من الإيلاء المغاضبة والمضارة فقوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ دليل على شرط محذوف دل عليه قوله: ﴿فَإِنْ قَاءُوا﴾ فالتقدير: وإن لم يفيثوا فقد وجب عليهم الطلاق، فهم بخير النظرين بين أن يفيثوا أو يطلقوا، فإن عزموا الطلاق فقد وقع طلاقهم. وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ دليل الجواب، أي: فقد لزمهم وأمضى طلاقهم، فقد حد الله للرجال في الإيلاء أجلا محدودا لا يتجاوزونه، فإما

أن يعودوا إلى مضاجعة أزواجهم، وإما أن يطلقوا، ولا مندوحة لهم غير هذين<sup>(٢)</sup>.

سادسا: العزم في العلاقات الاجتماعية:

ومما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإصلاح بين الناس.

يقول تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

والمعروف هو كل ما أمر الله به أو نذبه إليه من أعمال البر والخير. والإصلاح بين الناس هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما؛ ليراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به<sup>(٣)</sup>.

فإن كان المظلوم هو الساعي إلى الإصلاح، المبادر بالتأليف؛ ابتغاء مرضات الله، فلعمري إنه لمقام عظيم لا يقومه إلا أشداء الرجال وأقوياؤهم. وإن من العزم أن يوطن المرء نفسه على الصبر على الأذى إن كان فيه إصلاح وتأليف للقلوب، فإن غفر لظالمه ابتغاء وجه ربه؛ استحق أن يكون ممن قال فيهم الله عز وجل: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ لِذَلِكَ لِمَن عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ [الشورى: ٤٣].

قال مكي: «أي: ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرمة فلم

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٣٨٦.  
(٣) جامع البيان، الطبري ٧/ ٤٨١.

(١) نظم الدرر، البقاعي ٣/ ٢٩٢-٢٩٤.

## أخلاق أولي العزم

من صفات الأخلاق أنها تؤثر في بعضها بعضاً، فتحصيل خُلُقٍ منها ينعكس إيجاباً على تكوين غيره من الأخلاق، ويظهر هذا القانون بوضوح في خلق العزم، إذ يلزم لصاحبه أن يكون صابراً مصابراً قادراً على كبح شهوات نفسه، وتركيز عزمه، فإذا بلغ تلك الرتبة السامقة كان من أقدر الناس على إتيان البر في المكروه والمنشط، وفي العسر واليسر، كالعفو مع القدرة، وتقوى الله فيمن لا يتقي الله فيه.

ولتحليل أخلاق العازمين التي نوه بها القرآن الكريم تقابلنا عبارة (عزم الأمور) ثلاث مراتٍ في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل هي: قوله تعالى: ﴿لَتَتَّبِعُوا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقوله تعالى: ﴿يَبْنِي أَعْرَابَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].  
وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وبتدبر الآيات المذكورة تتضح أخلاق

يتنصر منه وهو قادر على ذلك؛ ابتغاء وجه الله عز وجل وجزيل ثوابه، إن ذلك الفعل منه لمن عزم الأمور، لمن أعالي الأمور التي ندب الله إلى فعلها عبادة ومن أجلها، وذلك فعل الوارعين»<sup>(١)</sup>.

ويحكى أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن، فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق، ثم قام وتلا هذه الآية: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] فقال الحسن: «عقلها والله وفهما لما ضيعها الجاهلون»<sup>(٢)</sup>.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٠/١٠-٦٦٠٩-٦٦١٠.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٧/٦٠٧، البحر المحيط، أبو حيان ٩/٣٤٥-٣٤٦.

على تحمل مشاقها ومعاودة الطاعنين فيها<sup>(١)</sup>، فعلم أن الصبر والمصابرة من أخص أخلاق أولى العزم. قال ابن عاشور: «والوصف بالعزم مشعرٌ بمدح الموصوف؛ لأن شأن الفضائل أن يكون عملها عسيراً على النفوس؛ لأنها تعاكس الشهوات، ومن ثم وصف أفضل الرسل بأولي العزم»<sup>(٢)</sup>.

فها هم يقارعون أقوامهم مقسمين مظهرين كمال العزيمة: ﴿وَلَنْصَبِرَكَ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَبُوا وَتَقَفُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف والمصائب، وهلاك الأقرباء والعشائر من أهل النصره والملة. وفي الأموال: ما يبذله المسلم من مالٍ في سبيل الله، وما يقع في تلك الأموال من أنواع الآفات والتلف، وما يسمعون من أهل الكتاب والمشركين من المطاعن في الدين الحنيف، وصد من أراد الإيمان، وتخطئة من آمن، وسب الله عز

أولي العزم، فأولها: الصبر، وهو المشترك بين الآيات الثلاث، وثانيها: التقوى، وثالثها: العفو عن المسيء. ثم إن هناك أخلاقاً أخرى من أخلاق أهل العزم نوه بها القرآن الكريم، وهي الصدق والإخلاص والمسارة في الخيرات، والثبات.

### أولاً: الصبر:

الصبر من أهم أخلاق أهل العزم، والعازم محتاجٌ إلى استيفاء أنواع الصبر بقدر عزمته وشرف معزومه، فهو محتاجٌ إلى الصبر في الطاعة لنيل التوفيق في حصول مسعاه. وهو محتاج إلى الصبر عن تسيط المشبطين، ونقد المنتقدين الذين لا همَّ لهم إلا الهدم، ومحتاجٌ إلى الصبر عن المعاصي التي توهن العزم، وتطمس نور البصيرة، وتورث الكسل، وتقتل الطموح وتفقد زمام المبادرة. ومحتاج إلى الصبر عن رد الأذى، ولا شك أن أعداء أهل العزم كثيرون من أعداء أهل الحق في كل زمان ومكانٍ. فلا عجب أن يعرف أهل العزائم بالصبر، ويشتهرون به. ولما أمر الله عز وجل نبيه بالصبر اقتداءً بصفوة الرسل - عليهم السلام - وصفهم بأولي العزم، فقال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأولو العزم هم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي ٥/١١٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٥/١٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

فيه -زيادة على الصبر- تحضيض على المغفرة للمسيء مع القدرة على رد الإساءة، وهذه سمة الداعية الحريص على وصول الخير والهداية لكل الناس، وهؤلاء هم من يألفون ويؤلفون.

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

يعني: «إن ذلك الصبر على الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق الأمور التي أمر الله عز وجل بها وعزم عليها»<sup>(٤)</sup>.

وفي الآية إشارة إلى الصبر على الطاعة بالأمر بالمحافظة على الصلاة، بالإضافة للأمر بالصبر على الأذى.

### ثانياً: التقوى:

التقوى سبيلها مراقبة الخطرات والحركات، ومراقبة الخطرات سبيل تصحيح العزم، فالعزم مبدؤه خطرة، ومهما أيقن العبد بعلم الله عز وجل السر والنجوى جاهد نفسه في مراقبة عزمه وإخلاصه:

﴿وَإِنْ جَهِرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾

وجل، كقولهم: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، وقولهم: يد الله مغلولة- تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وكهجاء رسوله صلى الله عليه وسلم وافتراءهم وكذبهم عليه، ومعاودة أصحابه رضي الله عنهم<sup>(١)</sup>.

قال النسفي: «خوطف المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها؛ حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بعتة، فينكرها وتشمئز منها نفسه»<sup>(٢)</sup>.

وفيه إيقاظ المؤمنين إلى ما يعترض أهل الحق وأنصار الرسل من البلوى، وتنبية لهم على أنهم إن كانوا ممن توهنهم الهزيمة فليسوا أحرىء بنصر الحق، وأكد الفعل بلام القسم وبنون التوكيد الشديدة؛ لإفادة تحقيق الابتلاء<sup>(٣)</sup>.

ففيه تحضيض لهم على الصبر على أنواع البلاء والأذى المذكورة، وتحذير لهم من ترك التقوى فيمن لا يتقي الله فيهم، ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة، فلا ينبغي للمسلم أن يفترى على عدوه كذباً، أو يفحش في القول والفعل، وإن كان عدوه هذا من أفحش الناس وأكذبهم. فالصبر المراد: صبر على المصائب، وصبر عن المعاصي.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/٢٩٠، الكشف، الزمخشري ١/٤٤٩.

(٢) مدارك التنزيل، النسفي ١/٣١٨-٣١٩.

(٣) التحرير والتنوير ٤/١٨٩.

(٤) تفسير مقاتل ٣/٤٣٥.

وقع في وهمه الذي لم يعزم عليه، ويحتمل ما لم يقع في سره بعد، فيكون أخفى من السر»<sup>(٤)</sup>.

قال مسروق: «من راقب الله في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه»<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي حفص عمرو بن سلمة النيسابوري قال: «من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال»<sup>(٦)</sup>.

وقال أبو تراب النخشي: «احفظ همك فإنه مقدمة الأشياء، فمن صح له همه صح له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله»<sup>(٧)</sup>.

وقال تعالى: ﴿تَتَّبِعُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ نَصَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

فعد الصبر والتقوى من عزم الأمور، وأمرهم بتقوى الله فيمن يؤذيهم، وإنما يكون ذلك بطاعة الله فيمن يعصي الله في المؤمنين؛ فلا يبرر فحشه الإفحاش له في القول والفعل، ولا يبرر ارتكابه الخيانة

[طه: ٧] قيل: السر: العزيمة، وما هو أخفى: هو الهم الذي دون العزيمة<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس قال: «السر: ما أسر ابن آدم في نفسه. «وأخفى»: ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فالله يعلم ذلك، فعلمه فيما مضى من ذلك، وما بقي علم واحد»<sup>(٢)</sup>.

وعن قتادة قال: «أخفى من السر: ما حدثت به نفسك، وما لم تحدث به نفسك أيضًا مما هو كائن»<sup>(٣)</sup>.

قال الرازي: «ويحتمل أن يكون المراد بالسر وبالأخفى: ما ليس بقول، وهذا أظهر، فكأنه تعالى بين أنه يعلم السر الذي لا يسمع، وما هو أخفى منه، فكيف لا يعلم الجهر؟! والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والأخفى على ما فيه ثواب أو عقاب، والسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، والأخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة، ويحتمل أن يفسر الأخفى بما عزم عليه وما

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢/١٠.  
وانظر لباب التأويل، الخازن ٣/٢٠١.  
(٥) ذم الهوى ص ١٦٢.  
(٦) حلية الأولياء ١٠/٢٣٠.  
(٧) انظر: سير السلف الصالحين ص ١٢١١، ذم الهوى ص ١٦١.

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣/٣٩٤، تفسير السمعاني ٣/٣٢١، معالم التنزيل، البغوي ٣/٢٥٦.  
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦/١٣، تفسير ابن حاتم ٧/٢٤١٦.  
(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/٣٦٧.

قال مقاتل: «ولمن صبر ولم يقتصر، وغفر وتجاوز فإن ذلك الصبر والتجاوز لمن عزم الأمور، أي: من حق الأمور التي أمر الله عز وجل بها»<sup>(٢)</sup>.

قال الفضيل بن عياض: «إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي، اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر؛ وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور»<sup>(٣)</sup>.

وبالجمله فإن العفو مندوبٌ إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال فيرجع ترك العفو مندوباً إليه، وذلك إذا احتيج إلى كفاية زيادة البغي وقطع مادة الأذى<sup>(٤)</sup>.

وقد أكد الله عز وجل هذه الآية بما لم تؤكد به آيتا آل عمران ولقمان فقال هنا: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال في سورة آل عمران: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والدسيسة والظلم وهتك الأعراض ونحو ذلك، كل ذلك لا يبرر أن يرتكب المؤمنون مثل ذلك. فالؤمن صاحب رسالة ومبدأ وعزيمة، ليس إمعنةً، ولا يقلد في دينه من لا خلاق له.

### ثالثاً: العفو والصفح عن المسيء:

العفو والصفح صورتا الحلم ومخرجاه إلى الوجود، والعفو هو ترك المؤاخذه بالذنب، والصفح: ترك الشريب، واشتقاقه من تجاوز الصفحة التي أثبت فيها ذنوب المذنب، أو من الإعراض بصفحة الوجه عن التلفت إلى ما كان منه من إساءة، وهو محمودٌ إذا كان على الوجه الذي يجب.

وقد نذب الله عز وجل إلى ذلك بقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فأمر بالحلم والعفو، وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

وقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]<sup>(١)</sup>.

وقد عد الله عز وجل العفو والصفح عن المسيء من عزم الأمور، فقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٢٤١.

(٢) تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٨٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٢١٤.

(٤) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٢٤١-٢٤٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٨/ ٤٩٠-٤٩٦.

وفي سورة لقمان: ﴿وَإِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧] لأن فيها زيادة العفو والصفح على الصبر الذي حث عليه آيتنا آل عمران ولقمان، فإن كان الصبر على الأذى وعن الانتصار للنفس شاقاً فإن إضافة الصفع إلى ذلك أشق.

قال السعدي: «فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل من أشق شيءٍ عليها، والصبر على الأذى والصفح عنه ومغفرته ومقابلته بالإحسان أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه»<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: الصدق والإخلاص:

الصدق والكذب أصلهما في القول، ويدخلان في الإرادة والعزم والفعل، فلفظ الصدق يستعمل في ستة معانٍ: صدق القول، وصدق النية والإرادة، وصدق العزم، وصدق الوفاء بالعزم، وصدق العمل، والصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديقٌ مبالغه في الصدق. والعزم قد يكون صادقاً جازماً، وقد يكون فيه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة،

فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة، والصادق والصديق هو الذي تصادف عزمته في الخيرات كلها قوة تامّة ليس فيها ميل ولا ضعفٌ ولا تردد، بل تسخو نفسه أبداً بالعزم المصمم الجازم على الخيرات. ومن كان عزمه صادقاً تم فعله<sup>(٢)</sup>.

وفرق بين الصدق والإخلاص أن للعبد مطلوباً وطلباً، فالإخلاص توحيد مطلوبه، والصدق توحيد طلبه. فالإخلاص: أن لا يكون المطلوب منقسماً، والصدق: أن لا يكون الطلب منقسماً، فالصدق بذل الجهد، والإخلاص إفراد المطلوب<sup>(٣)</sup>.

ومقام الصدق جامعٌ للإخلاص والعزم، فباجتماعهما يصح له مقام الصدق<sup>(٤)</sup>.

وأول درجات الصدق صدق القصد، وهو كمال العزم، وقوة الإرادة، بأن يكون في القلب داعيةً صادقةً إلى السلوك، وميلٌ شديد يقهر السر على صحة التوجه. فهو طلب لا يمازجه رياء ولا فتور، ولا يكون فيه قسمةٌ بحالٍ، ولا يصح الدخول في شأن السفر إلى الله عز وجل، والاستعداد للقاءه إلا به. ومن كان صادقاً في طلبه مستجمع القوة لم يقعد به عزمه عن الجهد في جميع

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي ٤/ ٣٨٧-٣٨٩.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ١/ ١٣٠.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٥٧.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٦٠.

وقال تعالى: ﴿طَاعَةَ وَقَوْلَ مَمْرُوفٍ إِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد]: [٢١]؛ قال الزجاج: «المعنى: فإذا جد الأمر ولزم فرض القتال، فلو صدقوا الله فآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وعملوا بما نزل عليه وما أمروا به من فرض القتال؛ لكان خيراً لهم، أي: لكان صدقهم الله بإيمانهم خيراً لهم»<sup>(٤)</sup>. فهاتان الآيتان تبيان فرق ما بين المؤمن والمنافق.

#### خامساً: المسارعة في الخيرات:

المبادرة إلى الأعمال الصالحة صفة أولى العزم من البشر، وقد ذكر الله عز وجل جملة من الأنبياء والرسل عليهم السلام، ثم قال في وصفهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال بعض المفسرين: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة<sup>(٥)</sup>.

قال محققو المسند: «إسناده صحيح إن ثبت سماع حميد بن عبد الرحمن الحميري لهذه القصة من أبي موسى، فليس في الإسناد تصريح من حميد بسماعه منه. ورجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير داود بن عبد الله الأودي، فمن رجال أصحاب السنن، وهو ثقة».

(٤) معاني القرآن، الزجاج ٥/١٣.

(٥) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٦/٣٠٥، البسيط، الواحدي ١٥/١٨٠، تفسير السمعاني ٣/٤٠٥، معالم التنزيل، البغوي ٣/٣١٥.

أحواله. فلا تراه إلا جاداً، وأمره كله جد<sup>(١)</sup>. قال تعالى: ﴿يَمُنُّ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أي: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس، فمنهم من قضى نجه، وفرغ من العمل الذي كان نذره لله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر وبعض يوم أحد وبعض في غير ذلك من المواطن، ومنهم من ينتظر قضاءه والفرغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده<sup>(٢)</sup>.

وعن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن رجلاً كان يقال له: «حممة» من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصبهان غازياً في خلافة عمر رضي الله عنه فقال: «اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك، فإن كان حممة صادقاً فاعزم له بصدقه، وإن كان كاذباً فاعزم عليه وإن كره، اللهم لا ترد حممة من سفره هذا». قال: فأخذه الموت، وقال عفان مرة: البطن، فمات بأصبهان. قال: فقام أبو موسى رضي الله عنه فقال: «يا أيها الناس إنا والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم صلى الله عليه وسلم، وما بلغ علمنا إلا أن حممة شهيد»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المصدر السابق ٢/٢٦٧-٢٦٩.

(٢) جامع البيان، الطبري ١٩/٦١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٩٦٥٩.

يسارعون في طاعة الله، والعمل بما يقرب إليه. والمسارعة في طاعة الله تعالى من أكبر ما يمدح المرء به؛ لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ تعليل لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بالأنبياء المذكورين أي: كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير، وهو السر في إيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها<sup>(٢)</sup>.

وأفاد فعل الكون أن ذلك كان دأبهم وهجيراهم. والمسارعة: مستعارة للحرص وصرف الهمة والجد<sup>(٣)</sup>.

وحقيقة المسارعة في الخير: أن يترقى الإنسان فيما يتحراه منزلة فمتزلة، فيتعوده فيتقوى به على المنزلة الثانية؛ لأن الخير حاصلٌ بعضه عن بعض، وحاملٌ بعضه بعضاً<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: إنما يعني زكياً وزوجه ويحيى عليهم السلام.

انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٢١١/٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٧٩/١٤.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٨٢/٢٢.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٨٣/٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣٦/١٧.

(٤) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني ٩٩٧/٣.

ووصف الله عز وجل المؤمنين بذلك فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبَائِهِمْ رَضِيُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

أي: يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها، ويسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها<sup>(٥)</sup>.

وما كانوا كذلك إلا لعلو همهمهم وصدق عزائمهم في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به، أو سنحت لهم الفرصة إليه انتهزوه وبادروه. ولما كان السابق لغيره المسارع قد سبق لجده وتشميره، وقد لا يسبق لتقصيره أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم السابقين فقال: ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ أي: للخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾ قد بلغوا ذروتها، وتباروا هم والرعيّل الأول، ومع هذا، قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة، أنهم سابقون<sup>(٦)</sup>.

والآيات الداعية إلى المسابقة والمسارعة في الخيرات كثيرة منها قوله

(٥) أنوار التنزيل، البيضاوي ٩٠/٤.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص

وجزم النية - وهو أن لا يعتربها وقفة ولا تأخير - هو غاية منازل الصديقين، وصدقية العبد بحسب رسوخه في هذا المقام، وكلما ازداد قربه وعلا مقامه قوي عزمه وتجرد صدقه، فالصادق لا نهاية لطلبه ولا فتور لقصده، بل قصده أتم وطلبه أكمل.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

واليقين هنا الموت باتفاق أهل الإسلام، فجاء صلى الله عليه وسلم إذ جاءه وإرادته وقصده ونيته في الذروة العليا ونهاية كمالها وتمامها<sup>(١)</sup>.

وصاحب العزم الصادق لا يفتأ يستعين على هواه بالتجرد من الحول والقوة، والتضرع إلى الله بالدعاء بالثبات، فهو أبعد الناس عن الخذلان، هجيره في السلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَبَّ فِيهِ إِلَّا اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [آل عمران: ٨-٩].

وعند عزم الأمر: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

فكان أثبت الناس قدمًا، وأصدقهم عزمًا. يشيب شعره ولا تشيب عزمته. بعكس من اشتهر بالتواني والفتور والكسل، ولم

(١) انظر: طريق الهجرتين ص ٢٢٤.

تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] والمائدة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

سادسًا: الثبات:

من أخلاق صاحب العزم الصادق أنه لا ينصرف عن بغيته حتى يبلغها أو يقطع به دونها لعذرٍ قاهرٍ، أو لحينٍ باهرٍ، وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستمر في عقد قلبه على طاعة مولاه مواظبًا على العبادة حتى يأتيه الموت، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

ووجه كون أهل العزم أكثر الناس ثباتًا، وأبعدهم عن الانتكاس والفتور أنهم تمرسوا بمراقبة خطراتهم، وتجريد قصدهم. وتجريد القصد وجزم النية والجد في الطلب هو عين كمال العبد، وهو متضمن للصدق والإخلاص والقيام بالعبودية. والاجتهاد في تجريد القصد وتخليصه من كل شائبة نفسانية أو طبيعية، وتجريده لمراد المحبوب وحده، والجد في طلبه وطلب مرضاته،

يتمرس بالعزم، تراه شاباً في بدنه، وشيخاً في عزمته وهمته.

### عوامل قوة العزم

يتفاوت العزم قوة وضعفاً بقدر حظ صاحبه من مادة حياة القلب، وقوة الباعث والمنادي، ووجود المساعد والحادي، ويقدر أخذه من أسباب النجاح والتوفيق. فإذا اجتمع له من جملة العوامل المذكورة ما يجيز به أنجح وأفلح، وإلا خاب وخسر. وفيما يأتي نتناول أهم العوامل المؤثرة على العزم قوة، ولا يخفى أن انتفاءها أو ضعفها يضعف العزم ويحط بالهمة، وبضدها تتميز الأشياء.

### أولاً: الإيمان بالله:

تقدم أن العزم من باب الإرادات فهو من أعمال القلوب، والقلب للأعضاء كالملك المتصرف في الجنود، فتصدر كلها عن أمره، يستعملها فيما شاء، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله<sup>(١)</sup>، فمتى كان القلب حياً متيقظاً صح العزم، وتمت الإرادة، ومتى كان ميتاً أو مريضاً لم يستقم له عزمٌ في خير. وقد ضرب الله عز وجل مثلاً للمؤمن والكافر بالحي والميت فقال: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَاتَ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) انظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم ١/ ٥.

[الأنعام: ١٢٢].

الإيمانية، وعلى قدرها تكون القوة في الطاعة، فإن وافقت قوة في البدن كان صاحبها أكثر عملاً، وأطول قياماً، وأكثر صياماً وجهاداً وحجاً. وقد تكون القوة إشارة إلى عزيمة النفس والحزم، فيكون أتم إقداماً على العدو في الجهاد، وأشد عزيمة في تغيير المنكر، والصبر على إيذاء العدو، واحتمال المكروه والمشاق في ذات الله، أو تكون القوة بالمال والغنى فيكون أكثر نفقة في سبيل الخير، وأقل ميلاً إلى طلب الدنيا، والحرص على جمع شيء فيها. وكل هذه الوجوه ظاهرة في القوة<sup>(٣)</sup>.

وهي متلازمة؛ لأن قوة الطاعة تأتي على قدر الهمة والعزيمة، ومثل ذلك يقال في القوة المالية؛ إذ إن المال لا يكون قوة ممدوحة إلا إذا أنفق في أبواب الخير، والجدود بالمال فرغ عن الجود بالنفس والبدن، فالأمر إلى أن القوة الممدوحة هي القوة الإيمانية التي يتولد عنها قوة في العزم.

والقوة الإيمانية أن يعمل المؤمن بعزائم الشرع في مواطنها، وأن لا يجبن على الأخذ برخص الشرع في مواطنها، وأن لا يترك المسلمين من يده حفاظاً لدينهم، واهتماماً بهم، ذكرهم وأنثاهم، عالمهم وجاهلهم.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القرطبي ١٥٧/٨، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٥/١٦.

فهل للميت من إرادة فضلاً عن أن يكون له عزم؟ ولا شك أن إيمان القلب ينعكس أثره على عمل الظاهر فيتميز العازم الحازم من المرتاب الشاك الحيران، يقول شيخ الإسلام: «والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَنَا بِاللهِ وَالرَّسُولِ وَأَطِعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُّدْعِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آتَانَا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧-٥١].

فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطعوا؛ فيبين أن هذا من لوازم الإيمان<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير)<sup>(٢)</sup>.

والقوة المحمودة ما هنا هي القوة

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٢٢١.  
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم ٢٦٦٤.

وأما المؤمن الضعيف فعلى ضد ذلك يكون قانعاً بأن يسلم بنفسه<sup>(١)</sup>. وهو ما ينشأ عنه نوعٌ من الحرص والإحجام عن مواطن الرفعة، ومظان السمو، وقبض اليد عن مواطن العطاء.

والمنافق إنما يؤتى انتفاض عزمه من ثلثة يقينه، إذ لا يزال شاكاً حائرًا مترددًا متذبذبًا، فلا يتصور أن يتعقد له عزمٌ، أو يصح له فعلٌ. وهؤلاء موصوفون بقوله تعالى: ﴿مَذْبذبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضللِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣].

وبقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَدِينُكُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَازْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وبقوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنَيْنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَهُ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

والقدر المشترك بين هذه الآيات أنها تصور حالة الكافر والمنافق من الحيرة والريبة والاضطراب، فهو أبعد ما يكون عن العزم.

ثانيًا: العلم ووضوح الغاية:

العالم أبصر الناس بالعواقب، وعلى قدر علمه تكون بصيرته، وعلى قدر بصيرته تكون عزيمته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وبدلالة المفهوم فإن الذين لم يؤتوا العلم لا يرونه كذلك، فهم يتقبلون في شكهم وريبهم وضلالهم. ولا شك أن التفكير في ثمرات الأمر ومغباته ياطر القلوب الصافية والألباب الواعية على الجهد والاجتهاد، وأن البصيرة بالعواقب تورث اليقظة والعزيمة، وكما قيل: البصيرة ما خلصك من الحيرة<sup>(٢)</sup>.

وإن عقل العاقل وعلمه لم يزل به من هم إلى هم، ومن عزم إلى عزم؛ حتى ينضي بدنه كما ينضي المسافر بعيره في تطلاب المآثر والمفاخر والمحامد، في الوقت الذي يتمتع فيه الجاهل على وثير أمن المغبات، وفاره دواب الشهوات.

إن عدم وضوح الأهداف والغايات فرغٌ عن الجهل وضعف الإيمان بالله. وقد شبه الله عز وجل الكفار بالأنعام، بل جعلهم أضل من الأنعام، ذلك أن الأنعام تأكل

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٤٤/٨.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ١/٤٣.

فمن كانت الدنيا همه وطلبتة ونيته، يعمل لها ويسعى في تحصيلها، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثواباً، ولا يخاف عقاباً عجل الله له فيها ما يشاء من توسيع وتقدير، لا ينال منها إلا ما قدره الله عز وجل له، ثم هو في الآخرة في عذاب جهنم مذمومٌ مدحورٌ.

وقيد الأمر تقيدتين، أحدهما: تقيد المعجل بمشيئته. والثاني: تقيد المعجل له بإرادته، وهكذا الحال ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضاً منه، وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة، وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة، فما يبالي أوتي حظاً من الدنيا أو لم يؤت، فإن أوتي فيها، وإلا فربما كان الفقير خيراً له، وأعون على مراده<sup>(٢)</sup>.

وعن زيد بن ثابت ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)<sup>(٣)</sup>.

ومن أحب الدنيا كره الموت إذ عمّر الغانية وخرب الباقية، فكره الانتقال من

وتتمتع، وربما كان القصاب يشحذ سكينه أمامها، فهي لا ترى أبعد من أنفها، ولا تطمح إلى أكثر من كومة الكلال بين يديها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفٰطِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآفَتَمُ وَالنَّارُ مَتَوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

يقول سيد قطب: «إن الفارق الرئيسي بين الإنسان والحيوان أن للإنسان إرادةً وهدفاً وتصوراً خاصاً للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة، فإذا فقد هذا كله فقد أهم خصائص الإنسان المميزة لجنسه، وأهم المزايا التي من أجلها كرمه الله»<sup>(١)</sup>.

فلا هم لمن كان كذلك إلا تحصيل عاجل الأمر، ولو بتفويت آجله، وإيثار فانيه، ولو بتضييع باقيه.

يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٩٠.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٢/ ٦٥٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢١٥٩٠.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٩٥٠.

فَإِنَّا دَخَلْنَا ۝٢٣ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أُوذِيَ النَّاسُ مِنْكُمْ وَعَسَاءُ الْذِينَ يَخَافُونَ ۚ أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ بَلْ يَخْتَلِفُ أَعْيُنَ النَّاسِ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ فَهُمْ جَاهِلُونَ ۚ وَرَبُّكَ فَاعْلَمُ ۚ ﴿٢٣﴾

العمران إلى الخراب. وحقيقة كره الموت كره لقاء الله، ومن كره الموت وأساء الظن بالله جمع كل أسباب الجبن.

قال ابن القيم: «والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق، وأهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله، وأهل الشجاعة والجدود هم أهل حسن الظن بالله كما قال بعض الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء والشجاعة فإنهم أهل حسن الظن بالله، والشجاعة جنة للرجل من المكاره، والجبن إعاقة منه لعدوه على نفسه، فهو جندٌ وسلاحٌ يعطيه عدوه ليحاربه به»<sup>(١)</sup>.

فكان جزاؤهم من جنس عملهم؛ إذ تمادوا في ترددهم وحيرتهم، فضرب عليهم التيه أربعين سنة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

والجبان حريصٌ على الحياة وإن حقرت، لا يصدق له عزمٌ على مكرمة، ولا صبرٌ عن معرة يقول تعالى في وصف اليهود: ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أُولَئِكَ لَئِي سَكُنُوا مِمَّا هُم بِمُخْرَجِينَ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرُوا﴾ [البقرة: ٩٦].

وهم وأشباههم من المنافقين مؤثني العزم إن أُجبروا على معركة لا يقاتلون إلا من وراء حصونهم، أو من خلف جدرهم: ﴿لَا يُقَدِرُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَوْمٍ مَخْتَصِمِينَ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

وموقفهم من أمر موسى عليه السلام لهم بدخول الأرض المقدسة يصور جنبهم، وترددهم، ووهنهم يقول لهم موسى: ﴿يَنْقَرُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَمْوَسِيٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبْرِينَ وَإِنَّا لَنَنذَرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا

فهذه الحال التي جمعتهم هم وإخوانهم من المنافقين؛ تبين ما يفعله حب الدنيا والحرص عليها في قلب المرء. وقد حذر الله عز وجل المؤمنين من أن يركنوا إلى الدنيا، فيشاقلوا عن الجهاد، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا كُنَّا مِنَ الْأَرْضِ أَرْضِيئُهُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ

(١) الفروسية، ابن القيم ص ٤٩١.

أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيتته<sup>(٢)</sup>. فهو سبحانه يحول بين المرء وإرادته؛ لأن الأمر لا يكون بإرادة العبد، وإنما يكون بإرادة الله تعالى<sup>(٣)</sup>. وهو سبحانه القادر أن يقلب قلب العبد فيفسخ عزائمه، ويغير نياته ومقاصده، فلما كان كذلك لم يكن للعبد حيلة إلا أن يلهج بالدعاء إلى مقلب القلوب أن يثبتها.

وقد صح بذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك). قال: قلنا يا رسول الله، آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟! قال: فقال: (نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها)<sup>(٤)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

يقول أبو بكر الوراق: «يعني: في تحويل الحالات، وضعف القوة، وقهر المنة، وعجز الأركاب، وفسخ الصريمة، ونقض العزيمة»<sup>(٥)</sup>.

قال الثعلبي: «قالت الحكماء: من كان

الْآخِرَةُ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

فلما صار كثيرٌ من المسلمين إلى ما حذروا منه سلط عليهم أعداؤهم لا عن قلة، ولكن لحبهم الدنيا وكرهيتهم الموت. عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها). قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: (أنتم يومئذ كثيرٌ، ولكن تكونون غناءً كغناء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن). قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: (حب الحياة وكرهية الموت)<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الدعاء:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهِهُ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ذلك خبرٌ من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً،

(٢) جامع البيان، الطبري ١١٢/١١.

(٣) تفسير السمرقندي ١٥/٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٢١٠٧.

وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة

المصابيح، رقم ١٠٢.

(٥) الكشف والبيان، الثعلبي ١١٣/٩.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٢٢٣٩٧.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة،

رقم ٩٥٨.

والعزيمة على الرشد» وأصل الشكر صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات؛ فقد أيد بالمعونة والتوفيق»<sup>(٥)</sup>.

وقال: «وهاتان الكلمتان هما جماع الفلاح، وما أتى العبد إلا من تضييعهما أو تضييع أحدهما، فما أتى أحدًا إلا من باب العجلة والطيش واستفزاز البداءات له، أو من باب التهاون والتماوت وتضييع الفرصة بعد مواتاتها، فإذا حصل الثبات أولاً، والعزيمة ثانيًا أفلح كل الفلاح، والله ولي التوفيق»<sup>(٦)</sup>.

وينفسخ العزم بتشعب الهم، واستيلاء الحزن على القلب، والعجز عن الاضطلاع بالأمر، والكسل عنه، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز من ذلك كثيرًا، عن أنس رضي الله عنه أنه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال)<sup>(٧)</sup>.

قال ابن القيم: «والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الحزن مما

اليوم على حالة وغداً أخرى فليعلم أن تدييره إلى سواه»<sup>(١)</sup>.

وسئل سفيان الثوري: بم عرفت ربك؟ قال: «بنفسخ العزم، ونقض الهممة»<sup>(٢)</sup>.

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: التقى حكيمان من الحكماء، فقال أحدهما لصاحبه: بم عرفت ربك؟ قال: بنفسخ العزم، ومنع الهم، لما عزمت فأزالني القدر، وهممت فحال بيني وبين همي، فعلمت أن المستولي على قلبي غيري»<sup>(٣)</sup>.

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا كنز الناس الذهب والفضة، فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن القيم: «الدين مداره على أصليين: العزم والثبات وهما الأصلان المذكوران في الحديث «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر

(٥) عدة الصابرين ص ١١٠.

(٦) مفتاح دار السعادة ١/٤٤٦.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، رقم ٢٨٩٣.

(١) المصدر السابق ١٠/١٦٢.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني ٧/٥٢.

(٣) العظمة، أبو الشيخ الأصبهاني ١/٣٣٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ١٧١١٤.

وحسنه محققو المسند بمجموع طرقه.

في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني. قال: ويسمي حاجته<sup>(٢)</sup>.

والاستخارة استفعال من الخير، ومعناها أن يسأل العبد ربه عز وجل التوفيق إلى خير الأمور<sup>(٣)</sup>.

قال ابن بطال: «يجب على المؤمن رد الأمور كلها إلى الله، وصرف أزمتهما والتبرؤ من الحول والقوة إليه، وينبغي له أن لا يروم شيئاً من دقيق الأمور وجليلها، حتى يستخير الله فيه ويسأله أن يحمله فيه على الخير ويصرف عنه الشر؛ إذعائاً بالافتقار إليه في كل أمر والتزاماً لذلة العبودية له، وتبركاً باتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في الاستخارة؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن؛ لشدة حاجتهم إلى الاستخارة في الحالات كلها، كشدة حاجتهم إلى القراءة في كل الصلوات»<sup>(٤)</sup>.

ونقل ابن حجر أن ترتيب الوارد على القلب على مراتب: الهمة ثم اللمة ثم الخطرة

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما جاء في الطلوع مثني مثني، رقم ١١٦٢.

(٣) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي ٥١/٣، شرح المشكاة، الطيبي ١٢٤٥/٤.

(٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ١٠/١٢٣.

يستعاذ منه، وذلك لأن الحزن يضعف القلب ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المجادلة: ١٠].

فالحزن مرض من أمراض القلب يمنع من نهوضه وسيره وتشميره<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: الاستخارة والاستشارة:

عظم النبي صلى الله عليه وسلم أمر الاستخارة، وبلغ من اهتمامه بها أنه كان يعلمها للصحابة رضي الله عنهم كما يعلمهم السورة من القرآن، وكان يأمرهم بها في الأمور كلها.

فعن جابر رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: (إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي

(١) طريق الهجرتين ص ٢٧٩.

ثم النية ثم الإرادة ثم العزيمة، فالثلاثة الأولى لا يؤخذ بها بخلاف الثلاثة الأخرى، فقوله: «إذا هم» يشير إلى أول ما يرد على القلب يستخير، فيظهر له ببركة الصلاة والدعاء ما هو الخير، بخلاف ما إذا تمكن الأمر عنده وقويت فيه عزمته وإرادته، فإنه يصير إليه له ميلٌ وحبٌّ؛ فيُخشى أن يخفى عنه وجه الأرشدية لغلبة ميله إليه. ويحتمل أن يكون المراد بالهم العزيمة؛ لأن الخاطر لا يثبت فلا يستمر إلا على ما يقصد التصميم على فعله وإلا لو استخار في كل خاطر لاستخار فيما لا يعبا به فتضيع عليه أوقاته<sup>(١)</sup>.

وأما الاستشارة فهي استنباط المرء الرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور، ويكون ذلك في الأمور التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها<sup>(٢)</sup>.

ومن الأخذ بأسباب الحزم والعزم استشارة ذوي العلم السديد، والفهم الرشيد، وقد أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه رضي الله عنهم فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن الضحاك بن مزاحم قال: «ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم

بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل»<sup>(٣)</sup>. وعن الحسن: «ما شاور قومٌ قط إلا هدوا لأرشد أمورهم»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية قال: «والله ما استشار قومٌ قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم. ثم تلا: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ نَبِيِّهِمْ﴾ [الشورى: ٣٨]»<sup>(٥)</sup>. «وعن سفيان أن الشورى نصف العقل. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاور حتى المرأة»<sup>(٦)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ما رأيت من الناس أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup>.

قال البخاري: «المشاورة قبل العزم والثبين؛ لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشرٍ التقدم على الله ورسوله، وشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا: أقم فلم يمل إليهم

(٣) جامع البيان، الطبري ١٨٩/٦.

(٤) المصدر السابق ١٩٠/٦.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص ١١٤.

(٦) انظر: تفسير ابن المنذر ٤٦٨/٢، تفسير ابن أبي حاتم ٨٠١/٣.

(٧) جزء من حديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٣٠/٥، رقم ٩٧٢٠.

(١) فتح الباري ١١/١٨٥.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٢١٠.

وبتخير، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه، عزم عليه وأنفذه متوكلاً على الله، إذ هي غاية الاجتهاد المطلوب منه<sup>(٣)</sup>.

قال الراغب: «المشاورة حصن من الندامة وأمنٌ عن الملامة، وقيل: الأحمق من قطعه العجب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة، والرأي الواحد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين والثلاثة إصرار لا ينقض»<sup>(٤)</sup>.

وقيل: شاور من جرب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنت تأخذه مجاناً<sup>(٥)</sup>.

وقال قتادة: «أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الأمور، وهو يأتيه وحى السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً، وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده»<sup>(٦)</sup>.

وعن الحسن قال: «قد علم الله عز وجل أنه ليس به إليهم حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعده»<sup>(٧)</sup>.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف مطالب وجوه ما حزه من الأمور بوحى

بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبي يلبس لأتمه فيضمها حتى يحكم الله»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية: «والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه. وصفة المستشار في الأحكام أن يكون عالماً ديناً، وقل ما يكون ذلك إلا في عاقل، فقد قال الحسن بن أبي الحسن: ما كمل دين امرئ لم يكمل عقله، وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً واداً في المستشار، والشورى بركة، وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة - وهي أعظم النوازل - شورى، وقال الحسن: والله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم، وكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه، وقد قال في غزوة بدر: أشيروا علي أيها الناس، في اليوم الذي تكلم فيه المقداد، ثم سعد بن عباد. ومشاورته صلى الله عليه وسلم إنما هي في أمور الحروب والبعوث ونحوه من أشخاص النوازل، وأما في حلال أو حرام أو حِد فتلك قوانين شرع»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «والشورى مينة على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف

(٣) المصدر السابق.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢١٠.

(٥) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٣٠٣.

(٦) جامع البيان، الطبري ٦/١٨٨-١٨٩.

(٧) تفسير ابن المنذر ٢/٤٦٧.

(١) صحيح البخاري ص ١٨١٨. والحديث أخرجه أحمد ح ١٤٧٨٧، وصححه محققو المسند.

(٢) المحرر الوجيز ١/٥٣٤.

ومدح الله عز وجل المؤمنين بقوله:  
﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

أي: لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وفي ذلك اجتماع الكلمة والتحاب واتصال الأيدي، والتعاقد على الخير، فالشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب<sup>(٦)</sup>.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: «إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم»<sup>(٧)</sup>.

وقال الماوردي: «اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح»<sup>(٨)</sup>.

وقيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم! قال: نحن ألف رجل وفينا حازم، ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم»<sup>(٩)</sup>.

### خامساً: الأخذ بالأسباب:

من أسباب ضعف العزم ترك الأخذ بالأسباب، فيستصعب القاعد ما هو مقدم

المحيط، أبو حيان ٣/٤٠٨-٤٠٩.

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج

٤/٤٠١، المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/٣٩،

أحكام القرآن، ابن العربي ٤/٩١.

(٧) انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي ص

٣٠٠.

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

من الله أو إلهامه إياه صواب ذلك. وأما أمتهم إنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتوخٍ للحق وإرادة جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حيد عن هدى فالله مسدهم وموفقهم<sup>(١)</sup>.

وفي المشاورة اجتماع العقول والأذهان، وإذا اجتمعت كانت إلى استدراك الحق والصواب أسرع وأبلغ مما لو انفرد كل عقل بنفسه<sup>(٢)</sup>.

وفي المشاورة أيضاً ترك الملامة؛ لأنه يقال: فعلت كذا بمشاورتك، والمشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه<sup>(٣)</sup>.

ومنها أنه قد يعزم على أمر فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح<sup>(٤)</sup>.

وفي المشاورة تطيب نفوس المشاورين، والرفع من مقدارهم بصفاء قلب المشاور لهم، حيث أهلهم للمشاورة. وفي المشاورة اختبار عقول المشاورين؛ فيظهر للمشاور مقدار فهمهم، وتنوع ملكاتهم؛ فينزلهم منازلهم<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/١٩١.

(٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٩/١٣٣.

(٣) انظر: تفسير السمرقندي ١/٢٦٠، زاد المسير ١/٣٤٠.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٩/٤٠٩، زاد المسير، ابن الجوزي ١/٣٤٠.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٩/٤٠٩، البحر

وقال بعض الحكماء: «لا ينبغي لأحد أن يدع الحزم لظفر ناله عاجزاً، ولا يرغب في التضييع لنكبة حلت على حازم»<sup>(٣)</sup>.

سادساً: التوكل والتفويض:

يقول تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أي: فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة، ولا تظن أنك تنال منالاً تحبه إلا بتوفيق الله، إن الله يحب المتوكلين عليه. والتوكل: الاعتماد على الله والتفويض في الأمور إليه<sup>(٤)</sup>.

فالعبد يحتاج إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه في تحصيل العزم، وفي العمل بمقتضى العزم بعد حصول العزم<sup>(٥)</sup>.

فالتوكل على الله أدعى إلى قوة العزيمة، فإن العبد إذا أيقن أن معه قاهر الكون رفعت تلك الفكرة، وجعلته أقوى الناس، وأقدرهم على صعب الأمور، لا كما يظنه المتكسون الجاهلون الكسالى اليائسون من روح الله، حيث جعلوا التوكل ذريعة إلى البطالة،

عليه من مهمات الأمور، وكلما فوت فرصة المبادرة ثبطه سبق السابقين، واتساع البون بينه وبينهم، فلا يرى إلا في المتأخرين، فيعين على نفسه شيطانها. وقد نعى الله عز وجل على المنافقين ترك الأخذ بالأسباب فقال: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَيْعَانَهُمْ فَتَبَطَّهَمْ وَقِيلَ أَفَعَدُّوا مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

وأخذهم العدة يكون بصدق العزم، ونشاط النفس، وبإعداد السلاح والزاد والراحلة للسفر، ونفقة الأهل في الحضر<sup>(١)</sup>. فتركهم الاستعداد وأخذ العدة دليل على إرادتهم التخلف<sup>(٢)</sup>.

ومن الأخذ بالأسباب الاستخارة والاستشارة، والمغلوب على الاستخارة والاستشارة أعجز عما سواهما من عظام الاستعداد. ولعل ما كان يستصعبه مما هو مقدم عليه صائرٌ إلى يسرٍ وسهولةٍ بمشورة بعض أهل الرأي والعقل والحزم. فترك ذلك مؤدياً إلى ضعف العزم.

والأخذ بالأسباب يقطع على الشيطان فتح باب التحسر والندامة إن لم يقدر للمرء بلوغ ما عزم عليه، قال مسلمة بن عبد الملك: «ما أحمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم»

(٣) انظر: مكارم الأخلاق، الخرائطي ص ٣٠٥.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩١/٦، معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٤٨٣/١، مدارك التنزيل، النسفي ٣٠٦/١.

(٥) مجموع رسائل ابن رجب ٣٧٢/١.

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣٦٨/٢.

(٢) تفسير السمرقندي ٦٣/٢.

فباؤوا بغضب على غضب<sup>(١)</sup>.

إذا حصل الرأي المتأكد بالمشورة فيجب ألا يقع الاعتماد عليه، بل يجب أن يكون الاعتماد على إعانة الله وتسديده وعصمته، والمقصود أن لا يكون للعبد اعتماداً على شيء إلا على الله في جميع الأمور، ودلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقوله بعض الجهال، وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: «قال المهلب: وامثل هذا النبي صلى الله عليه وسلم من أمر ربه فقال: (لا ينبغي لنبي يلبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله) أي: ليس ينبغي له إذا عزم أن ينصرف؛ لأنه نقض للتوكل الذي شرطه الله عز وجل مع العزيمة. فلبسه لأمته صلى الله عليه وسلم حين أشار عليه بالخروج يوم أحد من أكرمه الله بالشهادة فيه، وهم صلحاء المؤمنين ممن كان فاتته بدر... دالاً على العزيمة»<sup>(٣)</sup>.

ومن أخطر أمراض القلوب التي تضاد التوكل، فتحول بين المرء وبين كل خير:

(١) محاسن التأويل ٥/٢٦٣.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٩/٤١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/٣٨٤-٣٨٥.

سوء الظن بالله، واليأس من روح الله، ولذلك كان اليأس من روح الله كفرًا.

يقول تعالى على لسان نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ومن علامات سوء الظن بالله التطير والتشاؤم، وكان الرجل منهم في الجاهلية يكون في الشأن الخطير، والحدث الجلل، فيحدث له ما يتطير به، فينفرط عقد عزمه، وتفتر همته. ولذلك نهى المؤمنون عن الطيرة، بل بلغ التحذير منها أن عداها النبي صلى الله عليه وسلم شركاً<sup>(٤)</sup>، وهي سوء ظن بالله، وفراژ من قضاائه، وهي من الشرك؛ لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به يؤثر في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شركٌ خفيٌّ، فكيف إذا انضم إليها جهالة فاحشة وسوء اعتقاد في الله؟! ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالاً فقد أشرك<sup>(٥)</sup>.

يقول ابن القيم: «وقد كانت عائشة أم

(٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الطيرة شرك».

أخرجه أحمد في مسنده، ٦/٢١٣، رقم ٣٦٨٧، وأبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الطيرة، رقم ٣٩١٠.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٤٢٩.

(٥) انظر: فيض القدير، المناوي ٤/٢٩٤.

العالمين»<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة تأثر العزم بسوء الظن بالله: الإنفاق والصدقة في سبيل الله، فإن سوء الظن في حصول البركة والزيادة بالنفقة يورث خشية الفقر، وهو يورث التقدير والبخل والشح.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ولا جرم أن من استجاب لهذه الوسواس حصل له سوء الظن والتكذيب بوعد الله؛ فغل يديه إلى عنقه. وعدد ابن القيم فوائد الصدقة فذكر منها أنها توجب الثقة بالله، وحسن الظن به كما أن البخل سوء الظن بالله<sup>(٢)</sup>.

ومن التفويض والتوكل ألا يتحدث المرء أنه فاعل ما هو عازم عليه حتى يستني ويعلق الأمر على مشيئة الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وهذا إرشاد من الله عز وجل لرسوله الله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب، الذي

المؤمنين رضي الله عنها تستحب أن تتزوج المرأة أو يبنى بها في شوال وتقول: ما تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في شوال، فأبي نسائه كان أحظى عنده مني؟! مع تطير الناس بالنكاح في شوال، وهذا فعل أولى العزم والقوة من المؤمنين الذين صح توكلهم على الله واطمأنت قلوبهم إلى ربهم ووثقوا به، وعلموا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنهم لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وأنهم ما أصابهم من مصيبة إلا وهي في كتاب من قبل أن يخلقهم ويوجدتهم، وعلموا أنه لا بد أن يصيروا إلى ما كتبه وقدره، ولا بد أن يجري عليهم، وأن تطيرهم لا يرد قضاءه وقدره عنهم، بل قد يكون تطيرهم من أعظم الأسباب التي يجري عليهم بها القضاء والقدر؛ فيعينون على أنفسهم، وقد جرى لهم القضاء والقدر بأن نفوسهم هي سبب إصابة المكروه لهم، فطائرهم معهم.

وأما المتوكلون على الله المفوضون إليه العالمون به وبأمره فنفوسهم أشرف من ذلك، وهممهم أعلى، وثقتهم بالله وحسن ظنهم به عدة لهم، وقوة وجنة مما يتطير به المتطيطرون ويتشاءم به المتشائمون، عالمون أنه لا طير إلا طيره، ولا خير إلا خيره، ولا إله غيره، له الخلق والأمر، تبارك الله رب

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٦١.

(٢) عدة الصابرين، ابن القيم ص ٢٥٤.

لحصول الفعل المرغوب على أحسن وجه وأقربه، فإن القصد منها العمل بما يتضح منها، ولو كان المراد حصول التوكل من أول خطور الخاطر لما كان للأمر بالشورى من فائدة. وهذه الآية أوضح آية في الإرشاد إلى معنى التوكل الذي حرف القاصرون ومن كان على شاكلتهم معناه، فأفسدوا هذا الدين من مبناه»<sup>(٣)</sup>.

وعن أحمد بن عاصم الأنطاكي قال: «وأفنع الحزم ما طرحت به التسوية للعمل عند إمكان الفرصة وانتهاز البغية في أيام المهلة، وعند غفلة أهل الغرة»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن القيم: «وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه»<sup>(٥)</sup>.

والتسوية سمة بارد الحس عديم المبالاة، الذي كلما همت نفسه بخير وتشوفت إليه وعزمت عليه أعاقها بالتسوية حتى يفجأه الموت. ومن علامات التسوية كثرة الجدل في الأمر، وافتراس المسائل وتشقيقها؛ فرارًا من العمل.

يقول ابن رجب: «فأما إن كانت همة

يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون»<sup>(١)</sup>. وقال ابن العربي: «وهذا عزمٌ من الله لعبده على أن يدخل قولاً وعقدًا في مشيئة ربه، فما تشاؤون إلا أن يشاء الله، وقول ذلك أجدر في قضاء الأمر، ودرك الحاجة»<sup>(٢)</sup>.

### سابعًا: المبادرة وترك التسوية:

أرشد الله عز وجل إلى المبادرة إلى العمل بما استبان فيه الرشد مما عزم عليه فقال: ﴿وَسَآوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن عاشور: المراد: «التوكل حقيقته الاعتماد، وهو هنا مجاز في الشروع في الفعل مع رجاء السداد فيه من الله، وهو شأن أهل الإيمان، فالتوكل انفعال قلبي عقلي يتوجه به الفاعل إلى الله راجيًا الإعانة ومستعيذًا من الخيبة والعواقب، وربما رافقه قول لساني وهو الدعاء بذلك. وبذلك يظهر أن قوله: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ دليل على جواب (إذا) وفرع عنه.

والتقدير: فإذا عزم فبادر ولا تتأخر وتوكل على الله؛ لأن للتأخر آفات، والتردد يضيع الأوقات، ولو كان التوكل هو جواب «إذا» لما كان للشورى فائدة؛ لأن الشورى كما علمت لقصد استظهار أنفع الوسائل

(٣) التحرير والتنوير ٤/ ١٥١.

(٤) انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني

٩/ ٢٨٣.

(٥) الصواعق المرسله ٤/ ١٥٦١.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ١٤٨.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ٣/ ٢٢٨.

### ثامناً: التحرز من المعاصي:

من أسباب ضعف القلب كثرة المعاصي؛  
يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

قال قتادة: «هو الذنب على الذنب، حتى  
يرين على القلب فيسود»<sup>(٣)</sup>.

وعن الحسن قال: الذنب على الذنب  
حتى يموت قلبه<sup>(٤)</sup>، وقال: غشيت على  
قلوبهم فهوت بها فلا يفزعون، ولا  
يتحاشون<sup>(٥)</sup>.

فهم قد غطى على قلوبهم الرين علاها  
كما يعلو الصدأ الحديد، فلا يبصرون  
رشدًا ولا يخلص إلى قلوبهم خيرًا؛ بسبب  
إصرارهم على الكبائر وتسويق التوبة.

قال القشيري: «وإن قسوة القلب تحصل  
من اتباع الشهوة، والشهوة والصفوة لا  
تجتمعان فإذا حصلت الشهوة رحلت  
الصفوة. وموجب القسوة هو انحراف  
القلب عن مراقبة الرب. ويقال: موجب  
القسوة أوله خطرة، فإن لم تتدارك صارت  
فكرة، وإن لم تتدارك صارت عزيمة، فإن  
لم تتدارك جرت المخالفة، فإن لم تتدارك  
بالتلافي صارت قسوة، وبعدئذ تصير طبعًا

السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى  
فرض أمور قد تقع وقد لا تقع فإن هذا مما  
يدخل في النهي، ويثبط عن الجهد في متابعة  
الأمر، وقد سأل رجل ابن عمر عن استلام  
الحجر، فقال له: رأيت النبي صلى الله عليه  
وسلم يستلمه ويقبله. فقال له الرجل: رأيت  
إن غلبت عنه؟ رأيت إن زوحت؟ فقال له  
ابن عمر: «اجعل (أرأيت) باليمن، رأيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه  
ويقبله»، ومراد ابن عمر أن لا يكون لك  
همٌ إلا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه  
وسلم، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك  
أو تعسره قبل وقوعه، فإنه يفتر العزم على  
التصميم عن المتابعة»<sup>(١)</sup>.

ومن الفوائد المستنبطة من حديث الثلاثة  
الذين خلفوا عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم في الجهاد: أن الرجل إذا سنحت له  
فرصة القرية والطاعة فالحزم كل الحزم في  
انتهازها والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها  
والتسويق بها، ولا سيما إذا لم يثق بقدرته  
وتمكنه من أسباب تحصيلها، فإن العزائم  
والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت، والله  
سبحانه يعاقب من فتح له بابًا من الخير  
فلم ينتهزه، بأن يحول بين قلبه وإرادته، فلا  
يمكنه بعد من إرادته عقوبة له<sup>(٢)</sup>.

(٣) انظر: تفسير عبد الرزاق ٤٠٤/٣، جامع  
البيان، الطبري ٢٠٣/٢٤.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠١/٢٤.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢٠٣/٢٤.

(١) جامع العلوم والحكم ص ٩٢.

(٢) انظر: زاد المعاد، ابن القيم ٥٠٣-٥٠٢.

وريناً»<sup>(١)</sup>.

تاسعاً: مجاهدة الشيطان:

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].  
أي: يخوفكم به ويوسوس إليكم، فلا تخرجون الزكاة<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن للشيطان لمةً، وللملك لمةً، فأما لمة الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان)، ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال ابن رجب: «من صدق العزيمة يئس منه الشيطان، ومتى كان العبد متردداً طمع فيه الشيطان وسوفه ومناه. يا هذا كلما رآك الشيطان قد خرجت من مجلس الذكر كما دخلت، وأنت غير عازم على الرشد فرح بك إبليس، وقال: فديت من لا يفلح»<sup>(٦)</sup>.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي بن أبي طالب ٨٩٤/١.

(٥) أخرجه الترمذي ح ٢٩٨٨ في التفسير، باب ومن سورة البقرة، وابن حبان في صحيحه ح ٩٩٧، وفي سننه من اختلط، وأخرجه الطبري بسنده موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه ٦/٥-٨، قال الأرئؤوط: «وهذا إسناد صحيح، وقد أعل بالوقف، وأجيب بأن له حكم الرفع، لأنه لا يعلم بالرأي ولا يدخله القياس».

(٦) مجموع رسائل ابن رجب ١/٣٧٧.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه)<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي عياض: «وقوله: «على قلبين أبيض مثل الصفا» ليس تشبيهه بالصفا لما تقدم من بياضه، لكن أخذ في وصف آخر من شدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وأن الفتن لم تلتصق به، ولم تؤثر فيه كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء، بخلاف الآخر الذي شبهه بالكوز الخاوي الفارغ من الإيمان، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَدَتُّهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٣] قيل: لا تعي خيراً»<sup>(٣)</sup>.

فكثرة المعاصي من أسباب فتور الهمة وقصور العزم عن الخير.

(١) لطائف الإشارات ٣/٥٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم ١٤٤.

(٣) إكمال المعلم ١/٤٥٣.

التي قد تفسد على العبد اعتقاده وعبادته، فلا عجب أن تكررت وجوه الاستعاذة؛ إشعاراً بعظم خطر المستعاذ منه في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

فلما كانت مضرة الدين، وهي آفة الوسوسة، أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث: الرب والملك والإله، وإن اتحد المطلوب، وفي الاستعاذة من ثلاث: الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب، وإن تكثر الذي يستعاذ منه<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ عطية سالم: «ولقد علم عدو المسلمين أن أخطر سلاح على الإنسان هو الشك، ولا طريق إليه إلا بالوسوسة، فأخذ عن إبليس مهمته وراح يوسوس للمسلمين في دينهم وفي دنياهم، ويشككهم في قدرتهم على الحياة الكريمة مستقلين عنه، ويشككهم في قدرتهم على التقدم والاستقلال الحقيقي، بل وفي استطاعتهم على الإبداع والاختراع؛ ليظلوا في فلكه ودائرة نفوذه، فيبقى المسلمون يدورون في حلقة مفرغة، يقدمون رجالاً ويؤخرون

وإن الشيطان ليستعين على ابن آدم بالهوى، فيأتيه من أضعف جهات عزيمته، فإن المرء قد يكون ذا عزيمة ماضية، ولكنه أمام داعي هواه لا صبر له قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. وفي المراد بضعف الإنسان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضعف في أصل الخلقة. قال الحسن: هو أنه خلق من ماء مهين.

والثاني: أنه قلة الصبر عن النساء، قاله طاوس، ومقاتل.

والثالث: أنه ضعف العزم عن قهر الهوى، وهذا قول الزجاج، وابن كيسان<sup>(١)</sup>. فلما رأى إبليس منه هذا الضعف ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلَىٰ لَيْنِ أَخْرَجْنَاكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الرازي: «فإن قيل: كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم؟ قلنا: فيه وجوه: الأول: أنه سمع الملائكة يقولون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. فعرف هذه الأحوال. الثاني: أنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً، فقال: الظاهر أن أولاده يكونون مثله في ضعف العزم»<sup>(٢)</sup>.

والوسوسة إذا استحكمت من القلب أفسدت كل عزم، ونقلته إلى الشك والحيرة،

(١) زاد المسير ص ٣٩٥.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٦٧/٢١.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان ٥٧٩/١٠.

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ  
وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَلَا نُطِيعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعَ  
هُونَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فَرْطًا ﴿﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن القيم: «إذا أراد العبد أن يقتدي  
برجل فلينظر: هل هو من أهل الذكر أم  
من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أم  
الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى  
وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطًا. ومعنى  
الفرط قد فسر بالتضييع، أي: أمره الذي  
يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه  
ضائعٌ قد فرط فيه. وفسر بالإسراف، أي:  
قد أفرط بالإهلاك. وفسر بالخلاف للحق.  
وكلها أقوال متقاربة.

والمقصود: أن الله سبحانه وتعالى نهى  
عن طاعة من جمع هذه الصفات. فينبغي  
للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه،  
فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده  
ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل  
واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو  
حازم في أمره فليستمسك بغيره» (٤).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا  
تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خِيَالًا  
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَقْوَاهِمُ  
وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]

أي: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم

أخرى. والمتشكك في نتيجة عمل لا يقدم  
عليه أبدًا، بل ما بينه اليوم بهدمه غدًا» (١).  
وإذا كانت مهمة الوسوسة التشكيك  
والذبذبة والتردد فإن عموماً التكليف تلزم  
المسلم بالعزم واليقين والمضي دون تردد،  
والقاعدة الفقهية: «اليقين لا يرفع بشك»  
ومن هنا كانت التكاليف كلها على اليقين،  
فالعقائد لا بد فيها من اليقين، والفروع في  
العبادات لا بد فيها من النية؛ لقوله صلى الله  
عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات) والشرط  
في النية الجزم واليقين، فمن هذا كله كانت  
دوافع العزيمة مستقاة من التكاليف، مما  
يقضي على نوازع الشك والتردد، فلم يبق  
في قلب المؤمن مجالٌ لشك، ولا محلٌّ  
لوسوسة (٢).

### عاشراً: أثر الصحبة:

من أهم أسباب قوة العزم صحبة أولي  
الهمم العالية، ومطالعة أخبارهم (٣)، ومن  
أسباب الفتور وضعف العزيمة، وسفول  
الهمة مصاحبة البطالين، والركون إلى  
المثبطين.

ولو كان أحدٌ آمناً من تأثير البطالين  
لكان النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن  
الله عز وجل يأمره: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

(١) تنمة أضواء البيان ٩/ ١٨٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ٩/ ١٨٩.

(٣) انظر: علو الهمة ص ٣٥٢-٣٥٧.

(٤) الوابل الصيب ص ٤١.

والسلامة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (٢).

قال الغزالي: «وأما الحريص على الدنيا فصحته سمّ قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تزهّد في الدنيا؛ فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا، ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة» (٣).

**حادي عشر: تحصيل ملكة العزم بالمدّومة عليه:**

عن معاوية رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الخير عادة، والشر لجاجة) (٤).

ومن اعتاد صدق العزم في أموره كلها

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، رقم ٨٤١٧، وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم ٤٨٣٣. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٩٢٧.

(٣) إحياء علوم الدين ١٧٣/٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ٨٠/١، رقم ٢٢١.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/٦٣١، رقم ٣٣٤٨.

من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين، وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه؛ لحلوله منه في اطلاعه على أسراره، وما يطويه عن أبعده وكثير من أقاربه محل ما ولي جسده من ثيابه، فنهى الله المؤمنين أن يتخذوا من الكفار أخلاء وأصفياء، فإنهم منطوون على الغش والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، لا يتركون جهودهم في تخيل المؤمنين وإفسادهم، يتمنون لهم العنت والشر والمضرة لا المسرة (١).

والحاصل أنهم لا يدعون للتشيط عن الخير سبيلاً إلا طرقوه، ولا يقون غاية في التلبس على المؤمنين إلا قصدوها.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمِمَّا كَسَبُوا النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْضُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٣٧﴾ يَتَوَلَّوْنَ لِيَنفِقَ لَمْ أَخَذْ فَلَئِنَا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

فهذه الآيات وأشباهها دالة على أثر الصاحب على صاحبه، فإن كان ممن وفقوا لصاحب الخير فقد رشد، وإن كانت الأخرى فقد غوى وهلك. نسأل الله التوفيق

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٧٠٧/٥-٧٠٩.

ويحصل له هذه الملكة الراسخة من العزم، فإذا استنفر بعد ذلك إلى خير نفر، وإن استنهض إلى مكرمة نهض.

والخبير من أهل العزم أحرى من غيره بالاهتداء إلى معاهد العزم فيمضي في تحصيلها كالسهم، والوقوف على علل العزائم فيتجنبها.

قال ابن القيم: «قوله [الهروي]: فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم. ومدار علل العزائم: على ثلاثة أشياء:

أحدها: فتورها وضعفها.

والثاني: عدم تجردها من الأغراض وشوائب الحظوظ.

والثالث: رؤية العزائم وشهودها، ونسبتها إلى أنفسهم.

فإذا عرف هذه الثلاثة عرف علل العزائم»<sup>(٣)</sup>.

حصلت له ملكة العزيمة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه)<sup>(١)</sup>.

وكما أن الرجل لا يزال يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، فكذلك الرجل يعزم ويتحرى صدق العزم حتى يكتب عند الله من أهل العزم، ولعل وصف الله عز وجل بعض عباده بأولي العزم شاهد بهذا الاختصاص، وهو يحصل بالدربة والتعود والتكرار، وإلا ما كان لأمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم معنى إذ قال له: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فمن وطن نفسه على العزم حتى صار له ملكة راسخة حصل له من الكمال الممكن في هذا الباب بقدر تحريه ومصابرته فيعتاد عليه، ويسهل عليه عقده. وهي سمة تميز أهل العزائم.

قال ابن القيم: «تأمل الحكمة في التشديد في أول التكليف ثم التيسير في آخره بعد توطين النفس على العزم والامثال، فيحصل للعبد الأمران: الأجر على عزمه، وتوطين نفسه على الامثال، والتيسير والسهولة بما خفف الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الدارقطني في الأفراد، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٣٤٢.

(٢) عدة الصابرين ص ١٨٣.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٣٤٤.

أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال<sup>(٢)</sup>.

فلما كان تحقق العمل فرعاً عن العزم وجمع الهمة، كان كل الطاعات والقربات والمكرمات مفتقرة إلى جمع الهمة؛ ولذا قال أبو محمد المرتعش: «ما نفعني من العبادات شيء ما نفعني جمع الهمة»<sup>(٣)</sup>.

فإذا صحت العبادة كثرت الحسنات، ونال العبد بعزمه ما قد لا يبلغه بعمله لعذر لا يد له فيه، إذا كان صادق العزم. والأدلة على هذا الأصل أكثر من أن تحصى. قال ابن القيم: «وأما أعمال البر والطاعات فلا ضيق على العباد فيها، فلو اشترك الألوفا المؤلففة في الطاعة الواحدة لم يكن عليهم فيها ضيق ولا تراحم ووسعتهم كلهم، وإن قدر التراحم في عمل واحد أو مكان لا يمكن أن يفعله الجميع بحيث إذا فعله واحد فات على غيره، فإن في العزم والنية الجازمة على فعله من الثواب ما لفاعله، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث، فإذا قدر فوت مباشرته له فلا يفوت عليه عزمه ونيته لفعله»<sup>(٤)</sup>.

والعزم يورث التأهب لكل أمر جليل، فإذا عزم الأمر ألفت العازم مبادراً متفانياً

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ٩١.

(٣) انظر: ذم الهوى ص ٩٠.

(٤) طريق الهجرتين ص ٢٩٩.

### آثار العزم على الفرد والأمة

للعزم آثار حميدة، منها ما يعود على الفرد، ومنها ما يعود على الأمة.

#### أولاً: آثار العزم على الفرد:

العزم من أهم مقومات تحصيل خيري الدنيا والآخرة، فهو مادة الطموح وعلو الهمة والرجولة والشهامة والمروءة وتحمل المسئولية، وهو أحد ثلاث خصال ما اجتمعت في امرئ إلا كان له شأن بين الرجال: العقل والعلم والعزم، فبالعقل يميز وجهته وبغيته، وبالعزم يُغدُّ السير إليها، وبالعلم يستقيم له سيره. وغياب العزم فتور وتوان، وانحطاط الهمم مؤذن بانحطاط الأمم، وضعف العزائم مؤذن بذهاب المكارم.

وقد بينا أن العزم أوكد النية، والنية - كما يقول ابن القيم - هي روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم، وهما قوله: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)<sup>(١)</sup>. فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية؛ ولهذا لا يكون عملٌ إلا بنية، ثم بين في الجملة الثانية

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم ١.

ضعف عزمه، ولم يقتصر تأثير ذلك على آدم وزوجه فحسب، بل تعدى أثره إلى ذريته؛ ولذا قال له موسى عليه السلام: (يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة) (٤).

ومن آثار العزم استجابة الدعاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له) (٥).

ومن آثار العزم حسن الخاتمة ذلك أن الثبات على الأمر والعزيمة على الرشد يورثان المواظبة على الطاعة، ومن وازب على الطاعة مخلصاً كل أوقاته فحريٌّ أن توافيه منيته وهو مقيمٌ على الطاعة.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم؛ لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياًداً بالله من خلاف ذلك» (٦).

غير متوانٍ، فكان حقيقاً بنجاح المسعى، وجديراً بنيل طلبته. وفي المبادرة حفظاً للأوقات، وقطعاً لآفات التأخر والتباطؤ.

ويدل على أثر العزم وتأثير فقدته قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنِىٰ وَوَعَدْنَا لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

أي: لم نجد له صبراً عن الأكل من الشجرة (١).

قال ابن جرير: «وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء؛ لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه. فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلبٍ على الوفاء لله بعهدته، ولا على حفظ ما عهد إليه» (٢).

قال ابن زيد: «ولو كان له عزمٌ ما أطاع عدوه الذي حسده، وأبى أن يسجد له مع من سجد له، وعصى الله الذي كرمه وشرفه» (٣).

فما كان من أمر آدم عليه السلام مع إبليس، وخروجه من الجنة إنما كان بسبب

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، رقم ٦٦١٤، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم ٢٦٥٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكروه له، رقم ٦٣٣٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨٧/٢.

(١) وهو قول قتادة مقاتل.

انظر: تفسير مقاتل ٤٣/٣، جامع البيان، الطبري ١٨٣/١٦.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨٥/١٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ١٨٢/١٦.

اللَّهُ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» [المائدة: ٥٤].

قومٌ صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين من إنكار منكر أو أمر بمعروف، مضوا فيه كالمسامير المحمّاة، لا يرعيبهم قول قائل، ولا اعتراض معترض، ولا لومة لائم، ممن يشق عليه جدهم في إنكارهم وصلابتهم في أمرهم. وهذان الوصفان: الجهاد والصلابة في الدين هما نتيجة الأوصاف السابقة؛ لأن من أحب الله لا يخشى إلا إياه، ومن كان عزيزاً على الكافر جاهد في إخماده واستئصاله<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: «فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله المعاندين لآياته المكذبين لرسله، أعزة قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبدلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

ومن آثار العزم أن يفتح للمرء باب الفهم في دين الله، فالمواظبة على شحذ القلب بالعزم الصادق يشحذ ملكة الفهم وأكته. والفهم من بركات الطاعة كما قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ولذا قال أبو حازم: «عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمه الفتوح»<sup>(١)</sup>.

ومن آثار العزم على ترك الذنوب وعدم العودة إليها أن تقبل التوبة فيختم له بالصالحات، وتبدل السيئات حسنات، وتفتح له الجنات، وترفع له الدرجات. وكفى بذلك لصاحب العزم منزلةً ومثوبةً.

### ثانياً: آثار العزم على الأمة:

إن سقوط الهمم وخساستها حليف الهوان وقرين الذل والصغار، وهو أصل الأمراض التي تفشت في أمتنا فأورثتها قحطاً في الرجال، وجفافاً في القرائح، وتقليداً أعمى، وتواكلاً، وكسلاً، واستسلاماً لما يسمى بالأمر الواقع<sup>(٢)</sup>.

ولا ريب أن طريق هذه الأمة في الأرض يبدأ بصناعة الجيل الذي وصفه ربنا عز وجل: ﴿سَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ يَقُومُ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

(٣) انظر: الكشف، الزمخشري ١/٦٤٨، البحر المحيط، أبو حيان ٤/٢٩٩.

(١) انظر: حلية الأولياء ٣/٢٣٠.

(٢) علو الهمة ص ٣٢٥.

يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم، ولا يخافون لومة لائم بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عدل العاذلين، وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عاشور: «وهذا الوصف علامة على صدق إيمانهم حتى خالط قلوبهم بحيث لا يصرفهم عنه شيء من الإغراء واللوم؛ لأن الانصياع للملام آية ضعف اليقين والعزيمة. ولم يزل الإعراض عن ملام اللائمين علامة على الثقة بالنفس وأصالة الرأي»<sup>(٢)</sup>.

وليس ذلك بسبيل الإمعة ضعيف العزيمة المتردي في أسر الشهوات والعادات، المتهاوي في حبائل عدوه، وقد يكون من الموقنين بأنه عدوه، وأنه أحرص الناس على مضرتة، ولكن وهنه، وانحطاط عزيمته، وهوانه على نفسه وعلى الناس يثبته عن قطع الحبل الذي يربطه بالمذلة،

ويجلب عليه بالمعرة.

ومن آثار العزم على الأمة الاستقرار الأسري، فإن عزم الرجل أمر النكاح والطلاق يحسم مادة الجور، فيقوم المرء لله بالقسط، إن أحب أمسك بالمعروف، وإن كره سرح بإحسان، وهذا وحده كفيلاً بحسم مئات الآلاف من قضايا الأحوال الشخصية، التي تهدر فيها الأموال، وتضيع فيها الأوقات، فضلاً عن إراقة ماء الوجه، وقطيعة الأرحام، وفسخ أواصر العلاقات الاجتماعية مع ما فيه من فساد ذات البين.

ومن آثار العزم على الأمة صناعة الفرسان في كل ميادين الحياة، بين عالم ومخترع وطبيب ومهندس وزارع وصانع إلخ، وإقامة القدوات للنساء، وصناعة المواهب، وتوريث الإبداع، فضلاً عن استجلاب الرخاء العميم، والخير المقيم بركة الطاعات.

إن المتدبر في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ليرى أن مكونات تلك الصورة الكلية الرائعة لا تتحقق إلا بالعزم الماضي، والهمة الأكيدة، فموالاة المؤمنين ليست كلمة

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٦/٢٣٨.

الزكاة، والجهاد<sup>(١)</sup>.  
فهذه صورة المجتمع المؤمن إذا حضره  
الإيمان وانحسر عنه النفاق، وتصدره أولو  
العزم، وتبدد عنه الشيطان والمثبطون. والله  
المستعان.

#### موضوعات ذات صلة:

التوكل، الثبات، الشورى، الصبر،  
الضعف، الوهن

تقال، وإنما جهادٌ ومناصرةٌ ومؤازرةٌ بالنفس  
والنفس، تتجاوز الكلمات الشفوية،  
وبيانات الشجب والاستنكار.

وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله  
ورسوله، كل ذلك من عزم الأمور.

والتعبير بالأفعال المضارعة إشارةً إلى  
أن ذلك دينهم وعاداتهم ودينهم، ولا شك  
أنه مما يحتاج إلى مثابرة ومرابطة، ومكابدة  
للمشاق والعقبات، ومجاهدة للنفس المحبة  
للدعة والراحة.

والصورة المقابلة لتلك الصورة هي  
للمنافقين: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ  
عِنَ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [التوبة:  
.٦٧]

ولما وصف المؤمنين بكون بعضهم  
أولياء بعض ذكر بعده ما يجري كالتفسير  
والشرح له، وهي الخمسة التي يميز بها  
المؤمن على المنافق.

فالمنافق يأمر بالمنكر، وينهى عن  
المعروف ولا يقوم إلى الصلاة إلا وهو  
كسلان، ويبخل بالزكاة، ويتخلف بنفسه  
عن الجهاد، وإذا أمره الله تشبط وثبط غيره.  
والمؤمن بضد ذلك كله من الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة وإيتاء

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٤٥٩/٥.

